جدليات الزمن في الشعر العراقي الحديث
ـ عبد الوهاب البياتي أنموذجا ـ

بيداء عبد الحسين بلال/ كلية الآداب و العلوم الإنسانية – جامعة فردوسي مشهد
الدكتور امير مقدم متقي/ أستاذ مشارك / قسم اللغة العربية و آدابها / كلية الآداب و العلوم الإنسانية / جامعة فردوسي مشهد/ مشهد/ إيران (الكاتب المسؤول)
أ.د. صفاء عبيد حسين الحفيظ/كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة بابل

The dialectics of time in modern Iraqi poetry
-Abdul Wahab Al-Bayati as a model-

Baida Abdul-Hussein Bilal/ College of Arts and Humanities - Ferdowsi University of Mashhad
Dr. Amir Moghadam Mottaki/ Associate Professor/ Department of Arabic Language and Literature/ College of Arts and Humanities/ Ferdowsi University Mashhad/ Mashhad/ Iran (Responsible Writer)
Prof.Dr. Safaa Obaid Hussein Al-Hafeez/ College of Education for Human Sciences - University of Babylon
Baydaa.almulla80@gmail.com
a.moghaddam@ferdowsi.um.ac.ir
Dr.salhafeadh@gmail.com
009647700861398

Abstract

Time has had its significance since the experiences of the poets, and its importance has been wide in the perceptions of modern poetry Especially in Al-Bayati poetry more than in Al-Jahili poetry, it was deeply connected, reaching the point of identification The entire substance of the poet and the outside world, he shows the extensive use of images of time in one text; Where the past fuses with the present and the future in a single coherent structure, which expresses the traverse of the poetry of the structures of interrupted time, an attempt to merge them together and evoke a different time. According to this, the nature of the research necessitated that It is divided into an introduction and three chapters, and a conclusion, followed by a list of sources and references. The first chapter deals with: Faculties of research, where an explanation of the concept of poetic language for him, which was not a modern concept, opposes the concept of ancient poetry ,The poet used to mphasize the method of performance, not the basis of ancient poetry with its rhymes and weights The poet is the expression in the new description that he discovered, so his poetry was committed to reality, as it did not break the old poetic form, but he modified it according to the law of development and change and extended to the composition of poetry by relationships Grammatical, rhetoric and bulk syntactic .

The aim of the research is how to establish a concept of time, its manifestations and poetic artistic dialectics, and we see its description critically and objectively , and search to read and interrogate the modernist poetic scene of Abd al-Wahhab al-Bayati, and his stance In the various connotations and suggestions, through a future critical vision, in

the formulation of things intellectually and emotionally, and In light of what the semantics of the text present in terms of subjective and objective patterns related to the psychological and cultural aspects ,That is, the existence of the poetic meaning requires a state of fusion in the internal components, being strongly influenced by them, and then gradually growing as a result of the clash between them and the different cultural stimuli present in the human experience generally.
Keywords :(Dialects of time , The Poets vision , Human issues , the poetic experience , the revolutionizing poet)

توطئة:

للزمن أهمية مائزة منذ تجارب الشعراء وكانت أهميته واسعة في التصورات في الشعر الحديث وخصوصًا في شعر البياتي اكثر مما كان في الشعر الجاهلي ، ارتبط ارتباطا عميقا، يصل لحد التماهي الكامل بين مكنونات الشاعر والعالم الخارجي، فهو يظهر الاستخدام المكثف لصور الزمن في النص الواحد؛ حيث يتلاحم الماضي مع الحاضر والمستقبل في بنية واحدة متماسكة، تعبر عن اجتياز الشعر لبنى الزمن المتقطعة، محاولة لدمجها معا واستحضار زمن مختلف. وفي هذه الدراسة سنسعى إلى تأسيس مفهوم للزمن وجدلياته الفنية الشعرية، عن طريق قراءة المشهد الشعري الحداثي عند عبد الوهاب البياتي واستنطاقه ، ودراسة جدلية الماضي والحاضر، وجدلية الحاضر والمستقبل، وجدلية الماضي والمستقبل. ووقوف البياتي في مختلف الدلإلات والايحاءات برؤيا نقدية مستقبلية بصياغة الأشياء فكريا وعاطفيا، في ضوء ما تقدمه دلإلات النص من أنساق ذاتية وموضوعية متعلقة بالجانبين، النفسي، والثقافي؛ بما يقتضي وجود حالة من الانصهار في المكنونات الداخلية، والتأثر بها بشدة ثم تتنامى شيئا فشيئا نتيجة الصدام بينها وبين المثيرات الثقافية المختلفة الحاضرة في التجربة الإنسانية بصورة عامة.

الكلمات المفتاحية: (جدليات الزمن، رؤيا الشاعر، قضايا الإنسان ، التجربة الشعرية ، الشاعر الثوري)

جدلية الماضي و الحاضر:

جاء في المعجم الفلسفي أنّ من معاني الزمن في الفلسفة الحديثة ، إنّه وسط لا نهائي غير محدد شبيه بالمكان ، تجري فيه جميع الحوادث فيكون لكل منها تاريخ و يكون هو نفسه مدركا بالعقل ادراكاً غير منقسم.

و عرفته الموسوعة الفلسفية العربية ، بأنّه مقولة من مقولات الفكر عند بعض الفلاسفة و هو مقولة من مقولات الوجود عند البعض الآخر، و الزمن من الناحية اللغوية يقع على جميع الدهر و بعضه، و هو جانب من جوانب الوعى الإنسانى، ملاحظ نفسياً أو فيزيائياً كما تمّ تعريفه على أنّه المادة المعنوية ، التى يتشكل منها إطار كلّ حياة و حيز كلّ فعل و كلّ حركة، و الحق إنّها ليست مجرد إطار، بل إنّها لبعض لا يتجزأ من كلّ الموجودات و كلّ حركتها و مظاهر سلوكها (1).

والزمن بوصفه مصطلحاً ، يتخذ صفة ظاهرة فى البحث و هو يشمل أزمنة متعددة ، كالزمن السردي و الشعري و اللغوي. فالقصيده تدرك الزمن فيها لحظة بعد لحظة، ليس كأجزاء كيانية ، بل على استقبالها لها، حتى تنجز القصيدة و حدتها و كليتها . فالقصيدة تتجاوز التاريخ وإنّ ارتبطت بلحظة معينة، وهى بطبيعة بنيتها و كثافتها اللغوية متعددة المعنى والإتجاهات ، ترتبط بالأزمنة كلها و تتحول ، فتحول الأزمنة فى الشعر، يتم عن طريق انصهارها داخلياً ؛ لارتباطها بلحظة مطلقة، و عندما يستذكر الشعر الماضي أو الحاضر أو المستقبل ،فانما يستذكرها كألفاظ أو تحديدات لغوية يعرفها الجميع، إذ تقوم الصور الشعرية باقصائها لتؤسس لحظتها ، هي بحسب كلمات القصيدة ، التى تعرض نفسها للإدراك تباعاً على اعتبار ان التمثيل لا يستطيع إظهار العناصر المختلفة ، التي تحتويها إلا بالتعاقب ، فالقصيدة تتمتع بانفتاح لا متناه ، والصورة الشعرية و إنْ أبعثت من زمن حياتنا ، إلا

إنّها ليست زمن هذه الحياة ، إنّها تلامسها عبر الحواس ملامسة تضع الشعر على مسافة خطوة كبيرة منها، بخصوص ارتباط أبعاد الزمن أو تلامس بعضها ببعض ، فإنّ خاصية المسافة الحرة للزمن نقوم فى تقديم المستقبل و الماضي و الحاضر بعضها ببعض للتلامس فيما بينها و هذا التقديم للتلامس هو البعد الرابع للزمان الحقيقي ، الذى يشكل الجدليات ما بين الأبعاد الثلاثة.

فبهذا يعني أنّ اللحظة الحاضرة ، هى اللحظة الحاسمة بين لحظتين مختلفتين ، أهمها لحظة التعبير عن تجربة أدبية ذاتية إلى حدّ أنْ تكون تلك حالات الزمن العادية الماضي و الحاضر و المستقبل ، هى بكلام ادق غير متميزة فى الخبرة وإنّها متضمنة أو كامنة ، حتى تلك التي لم تختبر بالواقع ، تعدّ بمثابة امكانيات لا نهائية ضمن أية برهة فى مدى عمر أي إنسان فرد، أو إنّه يمكن النظر إليها من زاوية التحاضر الأزلي (2)

بيد أنّ اللحظة الحاضرة مهما كانت ذات سطوة ، فإنّها لا تأخذ بزمام الزمن الداخلى فى جميع إلاحوال فلابد من الالتفات إلى مخزونات ماضية متراكمة فى الحافظة و من إطلالة الحلم و من أجل ذلك عدّ العمر هو التقدم المستمر للماضي الذى ينهش المستقبل و يتورم كما تقدم و تكدس الماضي فوق الماضي و يستمر من غير تراخ مع إنّه – اي الماضي – يحفظ نفسه آلياً و من المحتمل ان يتبعنا بكليته فى كلّ لحظة.

إنّ الذكرى لا تعلم دون استناد جدلي الى الحاضر، ولا يمكن إحياء الماضي إلا بتقييده بلحظات شعورية حاضرة بالضرورة (3)، وعندما نتناول الجدليات التي تشكلها أبعاد الزمن الثلاثة الماضي و الحاضر و المستقبل، فيما بينها ، فعلينا أنْ نقر بدءاً ان هذا التناول مضطر ان يجمع بين فكرتين متناقضتين (إلانقطاع و إلاتصال) ؛ ذلك لأن تقسيم الزمن الى أبعاده المتنوعة، يقودنا إلى فلسفة الانقطاع و ان العلاقات المدروسة ما بين هذه الابعاد على شكل تركيبات ، تقترب من الجدليات و تقودنا الى فلسفة الاتصال كذلك ؛ لأنّ أي بعد من هذه الأبعاد لايمكن معرفته من غير ارتباط ببعد آخر، وكأن اللحظة الغائبة حاضرة بفعل الوعي و اللاوعي ، الذي يجعل فى الإمكان تكوين تركيبة بين لحظتين مستقلتين إحداهما حاضرة و الأخرى ماضية و كلتاهما متحررة من العملية التحطيمية ، التي يقوم بها الزمن (4) فمن هنا يقتحم طرفا الزمن الماضي و الحاضر فى قناة الذات، التي تقيم هذا الجدل ، الذي يعطي بدوره عياناً للذات و احساساً باستمرار حياتها (5) . فالزمن مكون من آنات يرفع كل آن منها الاخر حيث انه انتقال من الوجود الى اللا وجود ومن اللا وجود الى الوجود، بمعنى أنّ وجود الزمن هو الآن – اي الحاضر – و أبعاد الزمن ثلاثة الحاضر و المستقبل و الماضي أما الحاضر ، فإنّه يحمل فى طياته المستقبل وهو نتيجة الماضي و صادر عنه، كما سيصدر عنه المستقبل أو الحاضر التالي و لهذا يعدّ الحاضر اهم لحظات الزمن وهو وحده الموجود .

إنّ للزمن فى شعر البياتى مكانة خاصة يجسده عبر صور مختلفة لانه يرتبط بالشعر ارتباطاً وثيقاً و هذا الارتباط كان منذ العصر الجاهلى محوراً فاعلاً . والبياتى يتخذ من الزمن بطلا يقهر الواقع و يترقب المستقبل ، فيتعامل معه بدءاً من تصوراته له ، الذي يحيط به و يترابط به تاريخياً بين الماضي و الحاضر و المستقبل وله اهمية واسعة فى التصورات و إلاحكام اكثر مما كان عليه فى الشعر الجاهلى.

هناك فرق فى تصور الزمن بين الجماعات البدائية و بين الجماعات التي تعيش فى ظل الحاضر فالزمن البدائي/ ميثولوجي) أو شعائري اي انه ربما كان منعدماً اما الزمن بالنسبة للمتحضر فانه (تاريخي) لانه شي يمكن قياسه و التعامل معه (6) والشاعر يبحث عن قواعد لقصائده لكي تتحقق رغباته التي يطمح فى تحقيقها عبر عنصر الزمن فيعطيه دوراً شبه غامض فى بعض إلاحيان يرتبط قبل كل شي بذات الشاعر للتعبيرعن صور مختلفة ذات غاية واحدة مهما اختلفت النماذج فللبياتى فى شعره توقيت واضح وللزمن تأثير فى ابداعه فهو يؤمن

بان الفن هو الصورة الحية لذلك الزمن (7) لهذا تمرد عبد الوهاب البياتي على الماضي و تخلى عنه و حاول التخلص منه و من اثاره فى الحاضر و يحاول ان يتطلع إلى المستقبل و يوجه نظره اليه دون الالتفات إلى الماضي ولكن هذا الماضي الذي لا يريد الشاعر أنْ يتطلع إليه هو الامس الذي لا يهوى نكره و التبرء منه (8) . فالأحداث المشؤومة التي مرّ بها الشاعر، الذي لم يجد فيها راحة نفسية ، جعلها أحداث مقيدة أو أحداث ميتة ، حتى لا تعيق المستقبل ، الذي يحلم به و يتفاءل و يتطلع إليه ، ليجعل يومه الحاضر و غده القادم بشرى فى تحقيق ما يطمح إليه من آمال و أحلام فتزيل هذه الآمال سواد أيّامه المظلمة.

فقد خاض البياتى مع عنصر الزمن تجارب عديدة و خصوصاً فى بداية حياته الأدبية ، و كان لهذا العنصر الدور المهم و الحاسم فى مسيرته إلا إنّنا لا يجب أنْ ننسى بأنّه لم يعط أهمية للزمن الماضي . إنّ التفكير بالأمس يعيق التقدم ، فالشاعر قد اتجه فى عنصر الزمن اتجاهات عدة منها التمرد على الزمن و إبعاد آثاره الوخيمة على شعره ، لأن الزمن الماضي عنده هو إعاقة للتطور و إضاعة للجهد (9)، فيقول :

و تثور احقاد السنين
فنعود، نبحث فى بقايا الذكريات عن الحياة
إلامس مات
إلامس مات (10)

فهذه القصيدة هي كمعظم قصائد البياتي ناقمة على الزمن الماضي والحاضر الذي ساد الكتابات العربية اثر الهزيمة:

رباه اخرجنا من الظلمات
من شرك اللصوص
و من مخالب باعة الإنسان فى الشرف القديم(11)

ففي هذا النص نجد ان البياتي كان متشائماً من الماضي بحكم إلايام و الليالي و الشهور التي كانت مظلمة في حياته و يعدها بمثابة اعاقة عن التقدم فى حياته لذا وجب من الضروري ان يبتعد عن الماضي فإلامس عنده مات و لن يؤثر بالحاضر فجعله فى المرتبة الثانية في موقع قصائده أو بإلاحرى غير مهم عنده فى بعض من مراحله إلادبية وجاء هذا إلاعتقاد لان احاسيس الشاعر و عواطفه متغيره دائماً لعوامل كثيرة و هو ما يعرف بسباق الزمن عند البياتي لانه لم يتمرد عليه(12).

والمعروف عند البياتي انه قد أولى اهتمامه بعنصر الزمن و جعله بارزاً فى قصائده وذا دلالة (13) و ليس هناك من شك فى ان للزمن خصوصيته الفنية فى العمل إلادبي و هذه الخصوصية لاتتحقق إلا من خلال وجود ارتباط بين الزمن و بين الرؤية الشعرية فلا اهمية للزمن و لا قيمة له و لا تأثير له ان كان زمناً راكداً أو ساكناً أو فيزيائياً محضاً لا علاقة له بالرؤية الشعرية فالذى يكسب الزمن قيمته أو اهميته هو الزمن إلابداعي الذى يخلقه فى القصيدة من خلال ارتباطه بالرؤية و هذا يعني ان ثمة علاقة بين زمن الشعر و الزمن المادي أو الزمن الوجودي، و هذه العلاقة هى المؤشر على التفاعل بين الزمنين فى النص الشعري.

ان الشاعر البياتي يصنع فى قصيدته زمنها إلابداعي الخاص بها و هذا الزمن إلابداعي هو ما يحقق لها تكثيف الرؤية و تحفيزها للمتلقي فالزمن الذي تثيره قصائده زمن متحول أو زمن متجدد ترقى به اعلى درجات المغايرة و التكثيف الرؤيوى. وتعد قصيدة (المنفى) من القصائد الذاتية تماما يشبه فيها الضياء ينبعث من القبر فهو يتذكر ويغالب ويقارن بين الماضي والحاضر ولكنه يعرف ان الماضي لن يعود فيرمي الشاعر بنفسه في وحشة الضياع التي يتوضح فيها جدال الزمن فهى تجسداً للمعاناة الإنسانية و تكثيفاً للوجع و البوح الشعري :

نعشي ستحمله الرياح مع الغيوم
عبر القفار مع الغيوم
وانا واحلامي الكسيحة والنجوم
نبكي ونضحك ثم يدركنا النهار
فلنوذ في ظل الجدار(14).

وعلى الرغم من ذلك الألم يبقى البياتي يرصد الاحداث ويعسكها بصدق ويعبر عنها بعمق:

من يبكي على هذي المدن– الملاجىء – القبور ؟
من يبكي على شطآن بحر الروم في منتصف الليل ؟
ومن يفك لغز الوحش في (طيبة)؟
فالعالم في العصر الجليدي على ابوابه الجنود
والطغاة يحجبون بالجرائد الصفراء نار الليل (15)

انه يبعث من لسانه شعرا يحق ان نقول عليه انه سلاح قادر على مواجهة الاخطار بوصفه انسانا مرتبطا ببيئته قادرا على تحليل علاقات الواقع وكشف تناقضاته فالماضي عند البياتي متشاءم ولا وجود للتفاؤل به و لا وجود للسعادة فالبؤس يغطي ماضيه.

و قد اجتمعت لدى البياتي حصيلة كبيرة ابرز مصادرها إلاسطورة و الدين و التاريخ و إلابتكار و قد يحدث اندماجاً تاماً بين إلاسطورة و بنية القصيدة انشأ في نصوص خضعت لسطوة الزمن.

واذا تتبعنا قصائده فى مراحل مختلفة مرت بها شاعريته و عرفنا ان إلاحاسيس و المشاعر قد لا تكون متشابهة دائماً و انما هى متغيرة لعوامل كثيرة، و ان مزاج الشاعر لايبقى على حال يبشر بميلاد عالم جديد و قيم جديدة و كان الشاعر لا يوازي فى استعارة بين الماضي و المستقبل و ليكون الحاضر كبعد يوازيها، ولكن الشاعر لايلغي دور الماضي تماماً فهو يستمد منه ما يضيء دلإلات و اكتشافات جديدة لان مهمة الشاعر لايمكن ان تتحقق بابداع و اعادة خلق الواقع من خلال الحاضر فقط، بل لا بد لها من ان يمنحنا ابار الماضي و ان يكشفا كهوفة السحرية التي خيم عليها الصمت لاضاءاته و اكتشاف الدلإلات المتجددة فيه فهمتها ليست العودة الى هذا الماضي الغريب:

يا أيها الليل الطويل
هذا صياح الديك في أعماق قارتنا يبشر بالنهار(16)

إنّ رؤية الشاعر لليل بمثابة محصلة للتشابكات والامتزاجات النفسية والفكرية والاجتماعية ولابد لهذا كله ان ينصهر في ذاته الجائشة بعد ان ينتهي بصياح الديك مبشرا بالنهار. فظلام إلازمنة تعقبها عوالم جديدة يبنيها الإنسان. وقد أكد البياتي ان الدمار الذي حلّ في بيروت والحصار وما أعقبه من هول وهمجية ، حمل من البركات فوق ما تطيق أجنحة أحلامه (17) ، فيقول:

وضعت محرقتي
وكان لظى
نيرانها رئتي واعصابي
مأساتنا كبش الفداء هنا
كنا ومحرقة الاحطاب
اما الذين وراء حائطنا
يرنون للموتى باعجاب (18).

عرف البياتي ان الذكريات المستقاة من المعاناة الذاتية و الجماعية و من التراث القومي و الإنساني الذي يحيط بصاحبها، لا ينم اختيارها اعتباطاً بل انها تتجمع كما تتجمع برادة الحديد فى مواجهة المغناطيس، من خلال محاولته ربط قصيدته بالزمن الحاضر شكلا وموضوعا متمثلة بمظاهر الطبيعة التابعة لعامل التداعي تقوم في أساسها على العناصر البلاغية وتجتمع فيها مكونات البيئه الفاسدة و انقلاب العلاقات فيها، لتؤول الى نتيجة حتمية:

اجنحتي مغروسة في الطين
وقلمي مهاجر
طعامي الأوراق والحبر(19).

إنّ البياتي وهو يعرض سيرته الثقافية يوضح ان التاريخ هو النوع الذي احبه من القراءة و لم اقرأه كركام من الواقع أو إلاحداث و انما كتجربة انسانية واسعة و متعددة و كتجسيد لقضايا الإنسان التي طرحت على كل المجتمعات الإنسانية الماضية. غير ان البياتي لم يستمد من التاريخ عبرة يشرف منها على التأمل فى معان مجردة عن حياة الإنسان و مصيرة بل نظر فى التاريخ و هو بتجسد قيد التحقيق في نضالات الإنسان الحديث (20)، فيقول فى قصيدته (21):

ايتها النبوءة المخبوءة
تحت جناح هذه الحمامة
محتومة تظهر في السماء
علامة الثورة فوق السم والشرور
فهي عبور من خلال الموت
وصيحة عبر جدار الصوت

انه يؤمن بولادة عصر بعد عصر الهزائم عصر امل قادم جديد تبسط فيه الامة يد الرحمة والرخاء على هذا العالم التي حولته حضارة اوربا الطاغية الى غابة ويباب يأباهما ضميرنا القومي لانفسنا وللناس كافة مهما بدا من عجزنا وزاد من تضحياتنا (22). وفي قصيدته (مسافر لا حقائب) ، يقول :

من لا مكان

لا وجه لا تاريخ لي، من لا مكان

تحت السماء وفي عويل الريح اسمعها

تناديني

تعال

لا وجه لا تاريخ لي اسمعها تناديني

تعال

نجد ان الشاعر لم يهتم بالماضي، فقد عرفنا بانه شاعر متمرد فلا تاريخ له و لا وجهه محدده.فالتفاتته الى الماضي التفاته غير جميلة ، فماضية نكد و بؤس و لا يعطيه اي اعتبار، فهو يقول بانه لا تاريخ له و لا ماض ، ومشاعره تجاه الماضي كرهاً و تجاه الحاضر حباً:

أهذا الحجر الصامت من قبري

أهذا الزمن المصلوب فى الساحات من عمري

أهذا انت يا فقري

بلا وجه، بلا وطن

أهذا انت يا زمني

فما صنعه الفقر لم يقتصر على مجال محدد بل اتسع ليشمل الحياة و بذلك يكون فعل المطارد قاسياً فى الواقع و النتيجة.

جدلية الحاضر والمستقبل :

يعد الزمن الحاضر رؤية الفلاسفة بأنّ له إلاولوية التي يعطيها الفلاسفة للحظة الحاضرة ، التي تكاد تكون هي الزمن الوحيد المطابق للواقع مقارنة بالماضي والمستقبل اللذين يعدان معدومان غير واقعيين(23)، وان كانت معايشة الحاضر بالرغم من تطابقه مع الحياة تطابقاً تاماً يعد امراً مركوزاً في فطرة الإنسان ،إذ أنّ الوعي معتاد على مغادرة اللحظة الى القبل والبعد لتشكيل علاقات بينهما إلى حدّ تكاد هذه الفعالية الذهنية والعاطفية. اذا تجأوزت حدها المعقول أنْ تكون سبباً اساسياً في مأساة الإنسان وحرمانه من التنعم بالحياة(اللحظة).

وإذا كانت اهمية الحاضر يكمن في أنّه زمن واقعي معادل للحياة كلها في التفكير الفلسفي، فإنّ هذه الأهمية في الأعمال الأدبية بشكل عام. وفي شعر البياتي بوجه خاص . تكمن في رسم لاصوات غامضة ، تنبعث من صميمه الإنساني ، ليبقى شعره في مواجهة الشر والظلم الكوني والتعاسة والموت فالشاعر قد تمرد على الماضي فالماضي لديه تعيس وموضوعية شعره ، تربط الزمن في صنيعة الزمن الكلي وبذلك فهو يقضي على الذاتية والواقعية والرومانسية ويمكن القول هو شعر الثقافة العالمية وليس شعر البساطة ففيه ابعاد واعماق واشارات ثقافية الى إلاساطير وإلاديان والتاريخ والثقافة والتراث وإلاداب العربية والعالمية.

والبياتي يعدّ أول من تحدث عن القناع بإلاضافة الى استخدامه إلاسطورة والتاريخ ويعد ايضاً في الوقت الحاضر يذكر بابي تمام في الشعر العربي القديم يبقى الحاضر في ذهنه كالماضي لا يبدي رضى حياله إلا نادراً ، اما بالنسبة للمستقبل فقد تحدث الشاعر عن دائرة في فلك الموت إلى حدّ يبدد الحاضر على الرغم من سلبيته المعتادة اهون منه(24) ،فيقول :

الى البحر البعيد

عاد يطفو من جديد

حاملاً تاجاً من الليلك و العشب و ازهار

جبال المستحيل وعلى تابوته النهري طارت بجعة(25)

فهذه بمثابة رسالة الى البحر الذي عاد اليه فحقيقة النهرالكره للماضي و الحب للحاضر و يرجع الى امساك الذات للحاضر و تحقيق هويتها على نطاق كوني متضخم كما توحي بذلك الرؤية المصغرة لعنصر طبيعي كبير(البحر) فى الحاضر فإنّ شأن الذات متفائل وزمنها في الماضي متخلف متثاقل مقارنة بزمنها في الحاضر فالزمن في الحاضر يحمل تيجان من الليلك و إلاعشاب و إلازهار.

وعلى الشطان اضواء قناديل الربيع

و عويل الكهنة

تحت اقواس رماد إلازمنة

و هم يكون تموز الثقيل

اه ليل المحبين الطويل(26)

يعد الزمن الحاضر مقتصراً بصوره رئيسة في أعمال البياتي و صوره الفردية حيث نجد ان الزمن الماضي يظهر بكثرة في صوره القرية حيث كانت القرى بالنسبة للرواد ماضياً و من ثم اتضحت و نضجت بعد نضج تجارب الرواد الشعرية و حينما كانت القرى بالنسبة للرواد مثلما ذكرنا ماضياً فظهرت اكثر الصور أو النصوص تشير الى الماضي أو متشبهاً به بإلاضافة الى وجود نصوص شعرية تشير الى حاضر القرية ومستقبلها لم يقدم البياتي نصاً شعرياً ضروريا داخل قريته لان بداية التجربة الشعرية و مسيرتها و نضجها داخل المدينة ، أما القرية فهي الممهد لهذا الحسّ الشعري و بعبارة أخرى إنّ الشاعر عاش في قريته مرحلة طفولة لا غيرها و في هذه المرحلة الزمنية لم يكن أي نتاج شعري ،وبهذا المفهوم تكون صورة القرية بالنسبة له ماضياً ، ليضفي صفة التجديد على أشعاره لتتسم بسمات الحداثة ، ولم يتوان في البحث عن التقنيات التي تمكنه من التأثير على متلقيه(27).وللبياتي نصوص كثيرة تعود الى ماضي قريته ، منها قوله (28):

وفي قريتي كان اطفالنا

يغنون للارض نحبّ المطر

وكان الربيع يهز الحياة

يساعده في دروب القمر

إلا انه سيدرك ان زمان قريته ضاع ولن يعود مجدداً ، لذلك يقول (29) :

يوم القته على إلارض

نامت القرية عنا و الزمن يقول البياتي في قصيدته اباريق مهشمة :

يا ارض يا ام الجميع.ستهرمين و لا يكون

كانت قوافلنا بلا نجم و قد كنا نعيد

صلواتنا الخرساء للصبح البعيد.

ومهما يكن فان ما نتفق عليه في أباريق مهشمة من اضطراب في الانفعال و اختلاط في الرؤيا سيعكس ما كان سيبعثه الشاعر حساً و انفعإلا ، إلا إنّه و بجميع إلاحوال لم يخرج الشاعر على الصورة أو الفهم التاريخي لظاهره البطل و ان اختلط الفهم ولما اعوزه ذلك التجأ الى التاريخ قبل السفر والذي قد التجأ الى القديم يستلهمه و يستوحيه ليقيم عنده صوتاً غريباً و هو في هذا انما يؤكد رفضه السابق للحاضر الذي لم يستطع ان ينهض باحلامه ويحقق امانيه في هذا العالم(30).

فالحاضر يمثل عند البياتي المنفي و السجن و الحرب و القتل و الظلم و المستقبل النور المطل.يستمد ها من التاريخ أو إلاسطورة أو الواقعية من واقع الحياة فانه يواجه بعملية اختيار تتحدد خلالها وجهه نظرة فيما هو جوهري وما هو ثانوي في التجربة التاريخية أو إلاسطورية أو الواقعية وتتحدد بهذا إلاختيار وجهة نظره في الحياة و الإنسان يصرف النظر اتجاهه الاجتماعي والسياسي، فعائشة اكثر شخصية ذكرها واتخذت صورا عدة (خزامي،لارا ،هند،عشتار ،وغيرها) ،وهي عنده الرمز الذاتي والجماعي للحب اتحدا معا وحلا في روح الوجود الإنساني المتجدد وهي بالتالي عنده الأم والزوجة والوطن والأمة العربية والعالم الحر الذي يبعث بعد الموت كالعنقاء، فيقول (31):

عائشة ماتت ولكنني اراها تزرع الظلام

تنتظر الفراس ياتي من بلاد الشام

ياتي ولا يأتي اراه مقبلاً نحوي ولا اراه

تشير لي يداه.

فهنا الشاعر استمد مادته من التاريخ ومن إلاسطورة ، للتعبيرعن فكرة الموت ،وهو في ذلك لم ينطلق من قراءته بل من تجربته المتواضعة مع موت الاشياء الطبيعية، الإنسان، إلاطفال وهو ما اشار في السؤال الوجودي ما معنى الموت وقد انتهى بهذا المعنى الى تبني فكرة ان الإنسان يموت من الحياة ولا يموت من الموت وكان يظن ان هذه الفكرة جديدة لكنه اكتشف ان هذه الحقيقة كانت لدى بعض الشعراء العرب القدامى .فالإنسان يموت من الحياة الذي يبلغ الثلاثين معناه انه مات ثلاثين عاماً و هكذا فهذه الفكرة لم يجدها في الكتب قبل احساسه بها لكن القراءة ساعدته على الوصول اليها لتاكيد ما احس به فليس هنا ثنائية بين الموت و الحياة لهذا افضل كلمة لهذا(جدلية) فهما يتداخلان و احياناً يبق احدهما إلاخر. فالشجره لا تموت لان البذرة تعيد خلقها و الإنسان يولد ليس هو نفسه بل من خلال ابنائه أو ابداعه أو من خلال افكاره(32) ففي قصيدة (المماليك) يظل البياتي يشكو بؤس الشرق وملوكه المغلوبين ، حتى بدا العالم نصف ميت مشلول والسماء ملوثة بالدخان من كثرة النيران والخراب ، نراه يقول (33) :

على عالم ، نصفه ميت

فتحت عيوني ، وأطبقتها

سماء ملوثة بالدخان

يلاحقني عبثا صوتها

سأذهب قطعانهم في الطريق

بها عاد مستهزئا موتها

إنّه يعرض صورة للمشكلة التي يعانيها كإنسان ، يعبّر عنها تعبيرا صادقا نايضا مليئا بعمق الرؤية ، وعمق الإحساس بها، إننا نستطيع أن نرى في هذا التعبير جيلا بأكمله، أو نرى بتعبير أخر قلق جيل يسلك عديدا من الطرق ، ويستخدم اكثر من وسيلة كي يصل في نهاية الأمر إلى التكامل الذاتي والاجتماعي ، كي يتغلب على الانقسام بينه وبين المجتمع ، إما بتغيير هذا المجتمع أو بتغيير ذاته.

وفي أغنيته التي وجهها من العراق إلى عبد الناصر الإنسان، فيها آمال معلقة على الزمن المستقبل فيكثر فيها أسماء الفاعلين والنداء:

فدى لك العيون
يا صانع السلام والرجال
يا جمال
وواهب العروبة الضياء
ومنزل الأمطار في صحراء
حياتنا الجرداء ، يا رجاء
عالمنا الجديد
وفجرنا المعذّب الوليد (34)

لكن عبدالناصر يموت قبل أنْ يكتمل بدر الحرية ،ولا يحقق أيا من آمال البياتي، فينزوي بنفسه بصومعة الفكر يحسّ خيالا يناديه بصوت الحياة البغيض في قسوة، فيقول في قصيدة (أحلام شاعر):

... وما ذلك الحالم المنزوي
بصومعة الفكر إلا خيال
يحسّ بصوت الحياة البغيض
يناديه في قسوة: أنْ تعال
فيمعن في حلمه ساخرا
بأطيافها الشاحبين الثقال
بمهزلة قيل عنها : الشروق (35)

ولم يكن بمقدوره أن يفلت من ذلك الهمّ الذي يجثم على صدره ، فانبرى يتحدث ويعبر وبصيحات مستمرة ، تكشف لنا جريمة إهدار كرامة الأمة جمعاء ، وبحسب ما تقتضيه لغته الشعرية ، التي جعلت نصّه رسالة ومعنى تسهم في عملية الثورة الشعرية والاجتماعية والسياسية ، فيقول في قصيدة (تحولات نيتو كريس في كتاب الموتى) (36) :

أحبّ عينيك وكم أحب أنْ أقبّل الربيع
في جسمك والحديقة المعطار في شعرك
عبر الهرم الكبير محموما أنام ميتا وجسدي
مصر وشعري النيل – محموما أنام وأنا
أحلم في تدمير هذا العالم القديم – في
إحراق هذا الوثن الصامت – في الفرار والرحيل
من جحيم هذا الأسر نحو مدن الله – وفي

الحلول في الثورة – في نسف جسور الموت.

وهكذا احتضن البياتي الإنسانية ، وتنفّس من منطق حركتها، لذا جاءت رؤيته وآفاقه متسعة ومتنورة ، فكان حبه حبا للإنسان، للأرض، للعالم كله، وهذا الحبّ يعيشه الشاعر بكل امتلاء ، متجذر في قلب الأشياء الحقيقية. نابع من مبدأ ذي أبعاد أيديولوجية في الحياة ، فقد وجد في الاغتراب الأيجابي الذي يقوم على التغرب عن الواقع القائم ، وخلق عالم بديل أفضل من العالم الواقعي ، ورفض كل ما يزخر به الواقع المعاش من القيود وعوامل الإحباط والقهر. عبر تقنية القناع ، فيدبّ الأمل في جسد البياتي/ الأسكندر، في قصيدة (موت الاسكندر المقدوني)(37)، الذي يتخذ منه قناعا أو صورة رمزية لذاته المتمردة ، التي تحاول تجاوز كل العقبات من أجل العبور ، التي يقول فيها:

ها هو ذا المنتصر المهزوم
يعود من أسفاره وليس للأسفار
نهاية – مكللا بالغار
.....
ها هو ذا الأسكندر الأكبر في المرآة
ينام يقظان على جواده أراه
تأكل لحم يده القطط
أراه كلّ ليلة ، أراه
يعدو على تراب قبري فارس مجهول
ملثم نعسان
تفوح من معطفه رائحة الحقول والجبال والمطر.

لقد حاول أن يربط قصيدته بالزمن الحاضر و تعين اتجاهات الرمز أو شبكة الرموز عامة و هي تلك التي شاعت لديه سنة كتابة القصيدة 1963 ، فالرجل المهزوم بعد الموت ، وهو يرمز إلى مصيركل الطغاة في كل العصور، ويرى مأساته وانحلال جسده في الطبيعة والديدان تأكل لحمه وهو عاجز عن القيام بأي عمل ، وهو بهذا يكشف عن هاجس البعث من جديد عنده ويخلق منه شخصية أسطورية في الصراع مه الموت والبحث عن العودة في شكل جديد. إذ توجد نظائر معروفة الدلالة تحاول إعادة التوازن الى الوضع الناجم عن الانقلاب، فحفظ الشاعر بقدرته على النبؤة بسقوط مقومات البيئة الفاسدة و للرؤيا التي تشير بالثورة:

أرى بعين الغيب يا حضارة السقوط
حوافر الخيول و الضياع
تأكل هذي الجيف اللعينة
تكتسح المدينة --
ارى على ابوابك و الطوفان
يكتسح الساسة و التجار
ارى خيول النار
تدمر إلابراج و الأسوار(38).

لكن فعل الثورة يظل محكوماً بإلانتظار من دون حسم واضح فهو محبوس في مجال النبوءة من دون امكان إلانتقال الى الشق العملي، مترجحاً بين الكفتين في الزمن الحاضر الذي يتجه الترميز نحوه و المستقبل الذي يغلب عليه اليأس من دون ان يستطيع إعادة التوازن الى حال إلانقلاب الذي يظل مهيمنا حتى النهاية.

لقد قضى الشاعر البياتي حياته في الأسر بفعل أعماله للسياسة ، وهو يشبه نفسه بأبي فراس الحمداني كرمز من رموز التراث العربي بعنوان (روميات ابي فراس) و هو عنوان يحيل إلى مفصل من حياة الشاعر و هو (الأسر) ، لذا يتوقع أنْ يكون النص عاشقاً لهذه المعاناة و آلامها لكن البياتي يعمد الى شئ جديد ليتحول بالأسرإلى مفهوم جديد آخر، وهوالحرية ، فيقول(39):

جنية كانت على شطان بحر الروم

تبكي و كنت رافداً محموم

على رمال الشط عند مقرب النجوم.

جدلية الماضي والمستقبل :

تمضي بنا جدلية الماضي و المستقبل الى مغادرة اللحظة (الحاضر)، و التوجه نحو نشاط ذهني عاطفي، لانهما يعدان زمنيان متخيلان يلتقيان عند (الحافظة المخيلة) ،على الر غم من الفروقات الذاتية فيما بينهما، اذ ان الماضي مجرب يمتلك اثاراً و تاريخياً، و المستقبل مفتقر الى العنصرين(40) و ان كان من البديهي ان الدماغ لا يستطيع إلاستقرار على اللحظة الحاضرة فقط ، فإنّه يتوجه إلى الماضي و المستقبل على حد سواء، لخلق تناغم (التنظيم) لاتصاله بالماضي و امتداده الى المستقبل، و من الطبيعي ان يكون هذا التناغم أو التوازن مناسباً لذهن البياتي. فالذهن نتيجة عجزه عن مسايرة ما هو حيوي، يعمد الى ايقاف حركة الزمن ليبقى الحاضر دائماً مصطنعاً، و ليس هذا الحاضر إلا عدماً خالصاً لا يقدر ان يفصل حقيقة الماضي عن المستقبل، و يبدو أنّ الماضي يركز قواه في المستقبل و ان المستقبل ضروري لافساح المجال لقوى الماضي.

فالذاكرة تحتفظ بماضي الذات و الجماعة حيث ماضي إلاباء و إلاجداد، فتشارك في تشكيل و تأثيث الحاضر و المستقبل ، فالحاضر هو اللحظة إلانية الماثلة، حيث تتراكم على الماضي، و تستشرف المستقبل. اما الماضي و المستقبل فيرتبطان في حالة الموجود البشري ارتباطاً لا ينفصم عن الحاضر بمعنى ان الذاكرة روح الماضي و التوقع روح المستقبل خيث يضل الحاضر هو اللحظة الماثلة التي تشهد خبرة الإنسان و حركته.(41) إنّ البياتي مغترب وقد اصبح اللاجئ يحيى غربته مجبراً غير مختار سواء اكان ذالك في خيام اللاجئين أم في مدن العالم، و ما ذاك إلا بفعل الصهيوني البغيض و قد وضعه البياتي تحت رمز(القرصان) الذي يغتصب حق غيره و يشرده من ارضه و وطنه.

غليونة القذر المدمى و الضباب

و كوه ألحان الصغير

ورفاقه المتآمرون يثرثرون

البحر مقبرة الضمير(42).

يستقطب النص مكونات البيئة التي تناسب قرصاناً، تقوم حياته على إلاغتصاب و القتل و الدم، والخمر، والمومسات، ورفاقة المتآمرون، لطخة سوداء في تاريخه، يقابلها الضحايا:–القباب، شعب يموت. و عندما نريد ان نحفز زمن الفعل، لتغذية اللحظة الحاضرة و فتحها على المستقبل، نلاحظ انكسار خط الزمن باتجاه الماضي، الماضي البعيد، الذي يشير الى علاقة أولى ابتدائية للنصّ(43). حيث إنّ حركة الزمن تترجح بين حدي الحاضر

و الماضي و يتبدل اتجاهما ارسإلا و استقبإلا و ان توتر الحركة من الحضور و الغياب سيدفع الى تأسيس علاقة مع المستقبل. فاللحظة الماضية ،هي التي تغذي الحركة باتجاه المستقبل، عندما يتم اسقاطها عليه، و اللحظتان كلتاهما تعمقان إلاحساس بالحاضر لدى البياتي، حيث يشكل الحاضر هو منطلق التجربة و مركز ثقلها و توترها(44)

إنّ عنصر الزمن أخذ منحى عمق الصور الحية في شعر البياتي، فيظهر هذا العنصر بصورة جلية في شعره و جعله عنصرا من عناصر قصائده و قد ذهب في هذا إلاتجاه الى بروز الزمن و جعله و صفاً ذا دلالة تنحي الى صورة البطولة، اي ان الزمن أخذ يعمق الصور الحية في التجارب الودية التي كشفها الشاعر نتيجه الصمت السائد في واقعه المتجرد، فهو قد بحث في هذا العنصر من خلال قصائده، التي حملت الموقف و الفكرة الزمينة، و التأشير المتوارد لتلك إلازمنة، التي كانت ضائعة في عالم الإنسان فكان لظلام الأزمنة تعاقب لعوالم جديدة يبنيها الإنسان، و الى ان تحلّ تلك العوالم ،يسعى الشاعر دون ان يقع في وهنة الصراع بين الماضي و المستقبل، فهو يبحث عن عصر جديد اي زمان واضح و جديد و بناء الغد الآتي، أي ولادة أخرى و عصر قادم جديد يسقط عن الوجه الظل و القناع و تسقط الأسوار(45).

وليست القضية حلماً أو تمنيات فقط، و إنّما فعل وثورة ، فالثوري و الشاعر يخلقان إنسان ، لأنهما يبدعان الواقع و يعيدان خلقه، لا يبدعانه أو يعيدان خلقه أو يغيرانه ، لكي يقعا في شركه و يصبحا انعكاساً له في صورته الجديدة، بل يتخطياه و يتجاوزاه إلى المســـتقبل(46). و يمضي الزمن في شعر البياتي فيمضي ليل و يعقبه فجر وفي الزمن القريب سيستيقظ الحراس وتقرع الأجراس :

مملكة الموت على أسوارها الحرّاس

يرنق النعاس

عيونهم ؛ فلتفتح البوابة

وليدخل الغالب والمغلوب

فالفجر في الدروب

عما قريب؛ يوقظ الحرّاس

ويقرع الأجراس (47).

فاذا تتبعنا قصائد البياتي في مراحل مختلفة مرت بها شاعريته و عرفنا أنّ إلأحاسيس و المشاعر لا تكون متشابهة دائماً و انما هي متغيرة لعوامل كثيرة ، أدركنا أنّ مزاج الشاعر لا يبقى على حال و توقعنا كما اعتدنا اضطراباً في المواقف و إلافكار و هنا تمكن الغرابة في موقف البياتي تعبيراً زمنياً جذرياً أو تلوناً و قتياً سريعاً فهو دوماً وعلى الرغم من حالات يأس معينة يبشر بميلاد و عالم جديد و قيم جديدة و كأنه وجد ليوازن في اشعاره بين الماضي و المستقبل و ليكون ضحية لهذين البعدين لا يشكل معها الحاضر تعزيه و سلوى(48). ولذلك تحدث البياتي عن تجربيه الشعرية في ديوانه سيرة ذاتية لسارق النار عن الماضي و الحاضر و المستقبل و كذلك في دواوينه الشعرية الثلاثة((الذي ياأي و لا يأتي))((الموت في الحياة)) ((الكتابة على الطين)) شعر سياسي يحثّ الناس على الثورة على الظلم و التمرد و اذا كانت الثورة هي عبور من خلال الموت فالإنسان يموت بقدر ما يولد و يولد بقدر ما يموت، ولا يمكن لنا ان نكون معاصرين مئة بالمئة لزماننا الحاضر ، وليس الخطأ في هذا التاريخ بل خطأ نظرتنا المشحونة بالتذكارات و الصور التي التقطناها في الماضي فنحن نرى الحاضر كطبعة ثانية للماضي حتى و لو كان هذا الحاضر ثورة ، فليس من المعقول أنْ يتوقف عند أشكال فنية في التعبير، وإنّما عليه أنْ يجدد

باستمرار من خلال عملية الخلق الشعري، كما تجدد الطبيعة نفسها ، قاده هذا إلى إيجاد الأسلوب الجديد محاولا التوفيق بين ما يموت وما لا يموت ، بين المتناهي واللا متناهي، بين الحاضر وتجاوز الحاضر ، وقد تطلب ذلك البحث عن الأقنعة الفنية (49) . فمهما تنوعت وسائل المحكومين بالماضي، فالصورة الزمنية المعكوسة لا تسود فالزمن آت والشمس ستحيي الحجر الرميم ، حتى وإنْ طال الليل وطالت الحياة :

الليل طال ، طالت الحياة

فأين يا رباه !

شمسك! تحيي الحجر الرميم

وتشعل الهشيم (50).

اذا عدنا الى قصيدة الطفولة للبياتي وجدناها طفولة كئيبة فهو يشرح وضعه و هو في نيسابور:

ولدت في جحيم نيسابور

قتلت نفسي مرتين، ضاع مني الخيط و العصفور(51)

اما بالنسبة للمستقبل فالفهم الموضوعي للتناقضات التي تسود قانون الحياة و فهم منطق حركة التاريخ واكتشافه والتفاعل مع أحداث العصر، يمنح الشاعر الرؤيا الشاملة و القدرة على التخطي و التجأوز والتوجه الى المستقبل لا يمكن ان يتم بدون التوجيه الى الحاضر و ان يستوعب و يعايش الحاضر الذي يسقط في كل لحظة ليصبح ماضياً لان المستقبل لا يولد من الفراغ و اللاشيء(52).

و حين يتلاشى الحاضر في ضلال الماضي و لا يبصر الإنسان إلا بعين فتى الظلام

فترة طويلة و تصبح معالم العصر الحاضر و يسير الزمن الى الوراء، و يحيا التاريخ مرتين و في كتمه اليأس المرير يقول البياتي (53):

بلا ربيع أو بيوت

من الشروق إلى الغروب

ومن الغروب إلى الشروق

نبقى ونبقى في انتظار

مَن لا يعود

لا شيء ينبض بالحياة.

ويودّ أنْ يقتحم المستقبل و يسابق الزمن إلى ذلك الآتي بتصميم وثقة ولكنه يقرأ في عيون الناس تكذيباً للقضية و شكاً و خيبة :

لا تدعني

مثل شحاذ على الأبواب في الليل أغني

لا تدعني في الصقيع

أنّه الإنسان في منتصف الليل يغني

إنّه صوتك يدعوني

أيا فارس حزني (54).

يطوي الشاعر البياتي ذكرياته بقوة، فلا مكان لها في مستقبل حاضر ماضي، فهو لا يعترف بالضعف البشري ازاء التاريخ ، لأنّه على موهد مع الحبّ ،باحثا عن محبوبته في الضفاف والتعاويذ وتحت جسور العالم ،

إنّه ينتظر ولكن انتظاره لا يذهب عبثا ، فالطفلة تصير أنثى عاشقة، إنّه حلم رومانسي على طريقة جديدة ووفقا لأسلوب البياتي،ولكنه حلم بتحول العالم ، وتطهره ، إلا أنّ الحلم ينتهي ليعود هو إلى عذابه الخاص داخل واقعه الموضوعي:

طفلة أنت وأنثى واعدة

ولدت من زبد البحر ومن نار الشموس الخالدة

كلما ماتت بعصرٍ بُعثت

قامت من الموت وعادت للظهور(55)

وما اتعس أنْ يمرّ زمن الإنسان دون ان يمثل طموحه وينجز بناءاً و يمهد طريقاً أو يكشف غامضاً أو يردد مفازات مجهولة:

أهكذا تمضي السنون ؟

و يمزق القلب العذاب !

و نحن من منفى الى منفى و من باب لباب(56)

لقد اسهمت الأسطورة في منح شعر البياتي ايقاعاً تاريخياً و مبثولوجياً غنياً و معظم ما قدمه في شعره من أساطير ليس بعيداً عن ثقافة الإنسان العربي و ذلك لبساطتها و وضوح دلإلاتها و هو يبعث المعري من جديد:

يا رهين المحبسين

قم تر إلارض تغني

وردة حمراء و الريح غناء(57)

في هذا التوظيف يربط الشاعر الفكر التراثي(الماضي) و تطلعاته مع الجماهير ليوجه المسيره لبعث الأمل في المستقبل ، فهو ليس كالمعري يائساً و لا ينزوي كما فعل المعري يحبس نفسه هرباً من جور الحياة و قسوتها بل و اجهها بجناحيه المشرعين للشمس متطلعاً لتجديد الحياة و بعثها في مواجهة الموت و الظلم.

فالبياتي اهتم بالأصالة و الموروث الشعبي مضمناً الأسطورة و التراث إبداعه الخالد، و يزاوج الحلم بالواقع ، ليطل المستقبل كما يتخيله مستقبل ينتصر فيه الفقراء بوحدة كفاحهم و تضامنهم غير أنّ الشاعر يدرك أنّ حلمه بعيد المنال ، فينقلب به الحزن و اليأس و المعاناة و يسلم روحه و هو أشد إيماناً بانتصار القيم الإنسانية ، وعظمة الشاعر تكمن في بساطته و عمقه في آن واحد:

قصائدي ببساطة العصفور و انتفاضه العبيد

و قصفة الرعود

و حسرة الربيع في جنائز الورود

و صرحة الإنسان في دوامه الوجود(58)

يستعمل البياتي(القطار) رمزاً للرحلة في قصيدة(مقاطع بالسمفونية الخاصة ليروكوفيف) رحلة البعث عن المنقذ، و عن الحياة إلافضل بعد ان استولى الطاعون و الزلزال على المدينة و هي من الرموز الدالة شيوع الفساد في بلد الشاعر:

قطارنا إلاخير في الغسق

أعول و أحترق

قطارنا اعول و احترق

بحثت عنك طول ليل الليل

و انتظرت

ان تمر في الطريق

تمد لي عبر المتاريس يدي صديق(59)

فالقطار يوصل الى الحزن و اليأس، و المنقذ انكفأ في منتصف الطريق والإنتظار يقع في زمن اليأس: ليل الليل، مثلما كان احتراق القطار المؤكد، في زمن(الغسق) فالصورة مظلمة من جميع جوانبها. و يظهر القطار مقترناً بزمن الليل ايضاً و هو يعبر جسر العالم في(مرثية الى ناظم حكمت)

كان قطار الليل في الإمطار

يعبر جسر العالم المنهار

يعمل لي الحرف و التفاح و الإزهار(60)

إذن وفي ضوء ما أسلفنا تبين أن البياتي – وهو شاعر حداثي – لم يكن بعيدا عن الطفولة وعن التراث دون الوقوع في المباشرة والغنائية. وهو من نتاج تطوّر فكره وثقافته ورغبة في تجاوز لأشكال الأداء الشعري وإعطائها صياغة جديدة من أشكال التعبير، استكشف برؤياه صفحات الإنسان في ظل الحضارات العراقية القديمة والعربية والإسلامية العظيمة، وفيها توق إلى ولادة جديدة يضيء في لا وعيه ، حيث يكمن نموذج الإنبعاث شعلة الأمل ، فيزيح ظلام الموت ، ويحقق الانتصار عليه بالحبّ. وارتباط نتاجه ارتباطا وثيقا بعامل الزمن وتحولاته، وما لها من تأثير في حركية الصور، التي آزرتها وعبّرت عنها في مكنونات النصّ. سواء أكان بعيدا عن الزمن وصيغته المادية أو عن الطريق الحسّي ، الذي يمزج بين الحضور الزمني أو إلغائه ، ومن هنا تتضح العلاقة بين النصّ والزمن.

الهوامش:

1. الزمن في العرض المسرحي ، أطروحة دكتوراه، شفيق عبود مهدي ، جامعة بغداد – ١٩٩٦ : ١٠.
2. الفضاء الشعري عند بدر شاكر السياب ، نصيف محمد حسن ، ط1، دار الزمان، سوريا – 2022: ٣١٢.
3. جدلية الزمن غاستون باشلار ، تر خليل احمد خليل ، ط٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٥ : ٤٧.
4. ينظر الفضاء الشعري عند بدر شاكر السياب : ٣١٢.
5. ينظر الزمان الوجودي عبد الرحمن بدوي ، ط٣، دار الثقافة ، بيروت – ١٩٧٣: ٢٠.
6. ينظر عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث، احسان عباس، ط1، دار بيروت – ١٩٩٥: ٥٩.
7. ينظر عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث، احسان عباس : ٦٠.
8. ينظر الرؤيا في شعر عبد الوهاب البياتي ، محي الدين عبد الحميد، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – ١٩٨٨: ٤٨.
9. ينظر البطل في شعر عبد الوهاب البياتي، اثير محسن الهاشمي، مجلة جامعع كربلاء العلمية ، مج ٦ ، ع١، س ٢٠٠٨ : ٩٢.
10. الديوان، عبد الوهاب البياتي،ط1،ط2،ط3،دار العودة – بيروت –1979: ٢٢٥.
11. الديوان : ١٦٨/1.
12. ينظر الرؤيا في شعر البياتي، محي الدين عبد الحميد: ٧٢/2.

13. ينظر البطل في شعر عبد الوهاب البياتي، اثير محسن الهاشمي :2/ ٩٤.
14. الديوان ١/ ٢٦٠.
15. الديوان : ٣٠٧/٣ .
16. الديوان ٤٤٩/١.
17. الرؤيا في شعر البياتي: ١٤.
18. الديوان: ١/ ١٦٢.
19. الديوان: ٢/ ٣٦٦.
20. ينظر تجليات الموروث في ديوان (نصوص شرقية) لعبد الوهاب البياتي، فاضل عبد الأمير شريف، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٩.
21. الديوان: ٢/ ٣٦٧.
22. الرؤيا في شعر البياتي: ١٤.
23. حدس اللحظة، غاستون باشلار،تعريب رضا عزوز وعبد العزيز زمزم،ط1،دار الشؤون الثقافية،بغداد– 1986: ١٩– ٢٥.
24. الفضاء الشعري في شعر السياب: ٣٢٩.
25. ديوان الذي يأتي ولا يأتي: ٥٦.
26. المصدر نفسه: ٦٩.
27. حداثة القصيدة في شعر عبد الوهاب البياتي، الياس مستاري، كلية الاداب، جامعة الحاج الخضر باتنة، الجزائر– ٢٠١٤: ١٣٢.
28. الديوان : 237/2.
29. ديوان أباريق مهشمة، ط1،دار العودة ،بيروت– 1972: 157.
30. ينظر عبد الوهاب البياتي، وعي العصر والبنية الشعرية الحديثة، سعد مبارك، ط١، سوريا – ٢٠١١ : ١٩٦.
31. الديوان: 231/1.
32. ينظر مجلة الموقف الادبي، الاغتراب بين المعرفة والقيم الجمالية، صبار نور الدين، دمشق، ع ٣٥٥، س ٢٠٠٠: ٥٥.
33. الديوان : ١/ ٢٢٦.
34. الديوان: ١/ ٢٨٠.
35. الديوان : ١/ ١٤٣.
36. الديوان: ٣/ ١٨٠ – ١٨١ .
37. الديوان: ٢/ ٣٧٥– ٣٧٩.
38. الديوان: ٢/ ٥٧.
39. الديوان: ٢/ ٣٦٨.
40. ينظر الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراوي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – ٢٠٠٤: ٢٦.

41. حدس اللحظة، غاستون باشلار: ٢٢.
42. الديوان: ١/ ١٩٦.
43. الزمن في الرواية العربية: ١٩.
44. ينظر الزمن الابدي، وفيق سليطين، ط١، دار المركز الثقافي للدراسة والنشر، دمشق– ٢٠٠٧: ٤٢.
45. البطل في شعر عبد الوهاب البياتي، محي الدين عبد الحميد: ٩٧.
46. ينظرأثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، علي حداد، ط١، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد – ١٩٧٥: ٢٠٠.
47. الديوان : ٢/ ٢١٤.
48. الشعر والزمن، جلال الخياط ، ط١، دار الحرية، بغداد – ١٩٧٥: ٩٩.
49. تجربتي الفنية، الديوان : ٣٥– ٣٦.
50. الديوان : ٢/ ٢٤٥.
51. الديوان : ٢/ ٢١٦ .
52. ينظر الشعر والزمن : ١٠١.
53. الديوان : ١/ ٢١٢.
54. الديوان: 498/1.
55. الديوان: 445/2.
56. الديوان:241/2.
57. الديوان:162/1.
58. الديوان:313/2.
59. الديوان: 658/1.
60. الديوان: 676/1.

المصادر:

أولا: الكتب :

1. أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، علي حداد، ط١، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد – ١٩٧٥.
2. جدلية الزمن غاستون باشلار ، تر خليل احمد خليل ، ط٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٥.
3. حدس اللحظة، غاستون باشلار ،تعريب رضا عزوز وعبد العزيز زمزم،ط1،دار الشؤون الثقافية،بغداد–1986.
4. الرؤيا في شعر عبد الوهاب البياتي محي الدين عبد الحميد، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد – ١٩٨٨.
5. الزمان الوجودي عبد الرحمن بدوي ، ط٣، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣.
6. الزمن الابدي، وفيق سليطين، ط١، دار المركز الثقافي للدراسة والنشر، دمشق– ٢٠٠٧.
7. الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراوي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – ٢٠٠٤.
8. الشعر والزمن، جلال الخياط ، ط١، دار الحرية، بغداد – ١٩٧٥: ٩٩.
9. عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث، احسان عباس، دار بيروت ، ط١، ١٩٩٥.
10. عبد الوهاب البياتي، وعي العصر والبنية الشعرية الحديثة، سعد مبارك، ط١، سوريا – ٢٠١١ ..

11. الفضاء الشعري عند بدر شاكر السياب ، نصيف محمد حسن ، ط1، دار الزمان، سوريا – 2022.

ثانيا:الرسائل الجامعية:

1. حداثة القصيدة في شعر عبد الوهاب البياتي، الياس مستاري، كلية الاداب، جامعة الحاج الخضر باتنة، الجزائر– ٢٠١٤.
2. الزمن في العرض المسرحي ، أطروحة دكتوراه، شفيق عبود مهدي ، جامعة بغداد، نصيف محمد حسن ط١ دار الزمان ١٩٩٦ .

ثالثا:المجلات:

1. مجلة جامعة كربلاء العلمية ، مج ٦ ، ع١، س ٢٠٠٨. .
2. مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٩.
3. مجلة الموقف الادبي ، دمشق، ع ٣٥٥، س ٢٠٠٠.